مشـــروع
أكتشـفُ بـــلادي

غار الملح... الروافد...

هذا الكتاب من إعداد تلاميذ نادي
الادب والحضارة بدار الثقافة غار الملح

Financé par
L'Union européenne

Programme d'Appui
au Secteur de la
Culture en Tunisie

EUNIC
TUNISIE

ISBN : 978-9973-64-319-3
Édition : 2021

Éditions Kitabi (Sfax - Tunisie)
Tél. : (00216) 74.405.328

الإشراف والمتابعة :
زاهر كمون – مهندس ومصور فوتوغرافي وبسام مبروك مدير دار الثقافة بغار الملح
المراجعة التاريخية : عبد المطلب الرقيق – أستاذ تاريخ وجغرافيا
المراجعة اللغوية : أحمد بن سليمان – أستاذ لغة عربية

التّقديم

أكتشف بلادي : النهر يؤسس مجراه

هذا الكتاب رقم عشرين من سلسلة كتب أصدرها مشروع أكتشف بلادي. كل كتاب يهتم بخصوصية منطقة وبمخزونها وثرائها التاريخي والتراثي وبمعالمها وجمالها. وما يزيد في سحر هذا المنتوج الفكري أنه نابع من وجدان الشباب الحالم بغد أفضل. ما أجمل العبارات والصور الملتقطة عندما تكون صادقة وما أروع الأفكار عندما يتم العمل بها بالتفاؤل والحب. وفي هذا الإطار وسعيا من هيئة مشروع أكتشف بلادي للحفاظ على استمرارية المشروع وديمومته تعددت وتنوعت الاتصالات واللقاءات للتعريف بأهداف ومزايا هذا المشروع الثقافي التربوي مع المؤسسات الثقافية والشبابية فكان التجاوب سريعا من قبل الإدارة العامة للعمل الثقافي بوزارة الثقافة وذلك بإدراج ورشة عمل تهتم بمراحل إنجاز الكتاب بإشراف مختصين زاهر كمون وكرامة القلسي ضمن فعاليات الصالون الوطني لنوادي الفنون التشكيلية بدور الثقافة الّذي انتظم بغار الملح، وبحماس فياض وعزيمة فولاذية أنجز شباب نادي الأدب والحضارة بدار الثقافة بغار الملح كتابا متميزا يبرز مدى تعلق هؤلاء الشباب بانتمائهم وعشقهم لموطنهم فنسجوا بكلماتهم العذبة وبعدستهم حكاية صادقة وواقعية عن الماضي والحاضر حالمين بثقافة حب الحياة في موطن تتوفر فيه كل مقومات العيش السعيد والرفاه. أملنا كبير في مؤسساتنا العمومية والخاصة للعمل الثقافي والشبابي وفي المجتمع المدني الناشط في هذا المجال لتحفيزنا ودعمنا لديمومة مشروع أكتشف بلادي واستمراريته وذلك لمزيد تكريس مبدأ الحق في الثقافة و دعم اللامركزية الثقافية و تطوير وتنمية قدرات الناشئة وإعطائها فرص الإبداع والمساهمة في التنمية المستدامة.

د . جمال الشريف
استاذ جامعي في علوم وتقنيات الفنون

مشروع أكتشفُ بلادي

العنوان : شارع قرطاج – عمارة ابن زهر – الطابق الثامن – 3027 صفاقس – الجمهورية التونسية
الهاتف : 324 405 74 – الفاكس: 328 405 74 – صفحة الفايسبوك : je decouvre mon pays
الموقع الالكتروني : www.editions-kitabi.com
البريد الالكتروني : jedecouvre.monpays@gmail.com
اليوتوب : Je découvre mon pays – الانستغرام : Jedecouvremonpays

تنتمي غار الملح إداريا لولاية بنزرت وهي منطقة بلدية منذ ماي 1967 ومركز معتمدية منذ 1991 لا تتعدى مساحتها 130 هكتارا فهي أشبه ما يكون بشريط ساحلي ضيق يحده شمالا جبل الناظور وجنوبا البحيرة والبحر وكذلك من الشرق وغربا تحدّها عمادة باجو.

يبلغ عدد سكان مدينة غارالملح حوالي ستة آلاف ساكن أصولهم متنوعة بين العرب والأتراك العثمانيين (بنقارة، إسطنبولي) والإيطاليين (جنويز) والأندلسيين (كريستو، صدّور، عبّور) وغيرهم من العائلات الّتي استقرت بالمدينة على امتداد تاريخها المركّب.

تعتبر غار الملح منطقة رطبة بامتياز تضم مساحات مائية هامة (البحيرة الكبيرة والسبخة إضافة إلى شاطئ ممتد على أكثر من ثلاثة كيلومترات) وكلها تقع جنوب جبل الناظور الّذي يبلغ ارتفاعه 300 متر ويمثل مساحة غابية في منتهى الجمال كادت الحرائق أن تقضي عليها في السنوات القليلة الماضية مما يستوجب التفكير في إعادة تشجير استعجالي يعيد للجبل جماله ويحمي المدينة من السيول وخطر الانجراف الّذي أصبح عنصرا طارئا كشفته الأمطار الأخيرة. يميل طقس المدينة إلى الاعتدال عموما غير أنها وجدت نفسها في مطلع هذا القرن في قلب التغيرات المناخية العالمية حيث عرفت درجات الحرارة ارتفاعا ملحوظا مع تقلص كميات الأمطار أو سقوطها في مدد وجيزة.

أحد التماثيل الّتي تزين شوارع المدينة

مقر بلدية غار الملح

مقر معتمدية غار الملح

التاريخ والحضارة : غارالملح الروافد :

تعود التسمية الحالية لمدينتنا إلى ارتباطها الوثيق بمادة الملح الطبيعي الّذي كانت تنتجه مناطقها المائية الرطبة والّذي كان يُخزن في الكهوف الجبلية للتجفيف.
غير أنّ للمدينة أسماء أخرى :

- روس أكمونا وهو الاسم الفينيقي للمدينة الّذي يعود لسنة 1101 ق. م ويعني بيت المؤونة.
- قصر أبي صقر وهي التسمية العربية للمدينة بعد الفتح الإسلامي
- بورتو فارينا وهو الاسم الّذي أطلقه الأميرال فارينا على المدينة بعد انتصاره على خير الدين بربروس وقد جعلها ميناء حربيا وذلك أواسط القرن السادس عشر.

وإذا كان جانب مهم من المؤرخين كابن أبي الضياف وجون بينيون وغيرهما يُرجع تأسيس المدينة إلى أسطا مراد زمن الدولة العثمانية فإن كثيرا غيرهم يعيده إلى الزمن الفينيقي ومنهم المؤرخ التونسي عثمان الكعاك نظرا لما وجد من في أقصى الطرف الشرقي من المدينة (جهة الخربة) من مساكن مدفونة تحت الأرض تدل على أقدمية تأسيس المدينة إلى العهد الفينيقي القديم 1101 قبل الميلاد بما يسبق تأسيس قرطاج بحوالي ثلاثة قرون كاملة.
إنّ المتأمل في مدينة غارالملح إنما ينظر إلى تاريخ مركّب تداخلت فيه حضارات متباينة متنافسة على النفوذ في البحر المتوسط بحكم الموقع الجغرافي الإستراتيجي المطل على الحوضين الشرقي والشمالي من البحر.
وتعدّ هذه الخارطة اليوم على الواقع خليطا لافتا من الآثار الّتي تعود أساسا إلى العهد العثماني وحكم الدولة الحسينية حين بلغت غارالملح أوج بريقها الحضاري في القرن التاسع عشر مع سطوع نجم أحمد باشا باي بعنوانه الإصلاحي وباعتبارها الميناء العسكري الأول في البلاد التونسية.

منظر عام لمدينة غار الملح

الابراج العثمانية الثلاثة...

نجمات كبيرات على الطريق:

برج باب تونس أو la quarantaine او كما هو متداول برج لازاريت (lazaret) : وهي كلمة لاتينية تعني مستشفى حيث كان لهذا البرج دور وقائي هام يتمثل في منع تسرب الأوبئة من السفن الوافدة وذلك بعزلها في الميناء وإقامة حجر صحي لمدة أربعين يوما وعزل المسافرين المرضى بهذا البرج ومن هنا جاءت التسميتان. بُني في عهد حمودة باشا المرادي سنة 1659، مكتوب عليه بالتركية اسم محمد الرابع الّذي حكم من 1648 إلى 1687 والداي حاج مصطفى لعز الّذي حكم من 1653 إلى 1665.

مدخل البرج

داخل البرج

النقيشة العثمانية

برج باب تونس

البرج الوسطاني أو كما يعرف ببرج الديوان : هو أقدم قلاع المدينة امتد بناؤه على مدار ثلاث سنوات (1638 - 1640) على يد المهندس الأندلسي موسى الاندلسي لكن بعد سنة 1881 أدخلت عليه العديد من التغييرات مما أفقده طابعه الاصلي ومع الاسف لازالت هذه التغييرات قائمة لحد اللحظة مما جعله مهددا بفقدان عراقته.

نقيشة فوق مدخل البرج

أحد اركان البرج

البرج الوسطاني

البرج اللوطاني أو كما يسميه البعض برج سيدي علي المكي : نقش في مدخله تاريخ "1659" وهو تاريخ شن الغارة الإنجليزية التي بني هذا المعلم على إثرها. وقد شهد بعض الترميمات سنة 1840 على يد احمد باي كما تم بناء طابق علوي له بعد سنة 1881 ولكن هذا لم يفقده خصوصياته المعمارية.

ويُقال أنّ أنفاقا تربط بين هذه الأبراج تحت الأرض ولم يتسن لنا تأكيد ذلك بصفة علمية.

عموما كان الهدف من إنشاء هذه الحصون حماية تونس العاصمة من الغزاة، لكنها تحولت إلى سجون بداية من 1887 وظلت على صبغتها السجنية تلك طيلة 78 سنة رغم معارضة السكّان الّذين استغلوا فرصة التخلص منها سنة 1965 حين زارهم الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة وحقق لهم مطلبهم.

وتدعمت حصون غار الملح وازدادت العناية بها خلال الفترة الاستعمارية خاصة. وفي سنة 1962 شهدت تونس محاولة انقلابية فاشلة على الرئيس الحبيب بورقيبة انجر عنها سجن المتورطين في هذا الانقلاب من الحركة اليوسفية في حصون غار الملح لعدة سنوات ويضم البرج اللوطاني اليوم متحفا إيكولوجيا يستقطب آلاف الزوار سنويا أسس سنة 2013 بشراكة بين الإدارة العامة للغابات والمعهد الوطني للتراث والصندوق العالمي للطبيعة.

صورة من داخل البرج

مدخل البرج اللوطاني

منظر عام للبرج اللوطاني

منظر عام للداخل

الميناء القديم القشلة...
إتحاف أهل الزمان...

ميناء تاريخي عسكري بالأساس يعود الفضل في رد اعتباره إلى أسطا مراد. ودعم أحمد باشا باي عسكرية الميناء بجعله يضم حامية كاملة من الأسطول البحري التونسي... وقد غادر منه إلى فرنسا في رحلته الشهيرة مع المؤرخ أحمد ابن أبي الضياف في نوفمبر 1846.

ويضم الميناء مجموعة من المخازن الكبرى الّتي استعملت لبناء السفن وإصلاحها أو محاجر صحية للوافدين، غير أن المدخل غير العميق بسبب الترسبات شكّل نقطة ضعف الميناء الكبرى كما أشار لويس فرانك طبيب حمودة باشا الخاص، وهو ما يفسّر ربما فشل كل محاولات أحمد باي سنة 1837 لجعل الميناء رافدا لعشرة آلاف عسكري مقيم في المدينة في مشروع طموح لم يعرف النجاح.

الميناء القديم

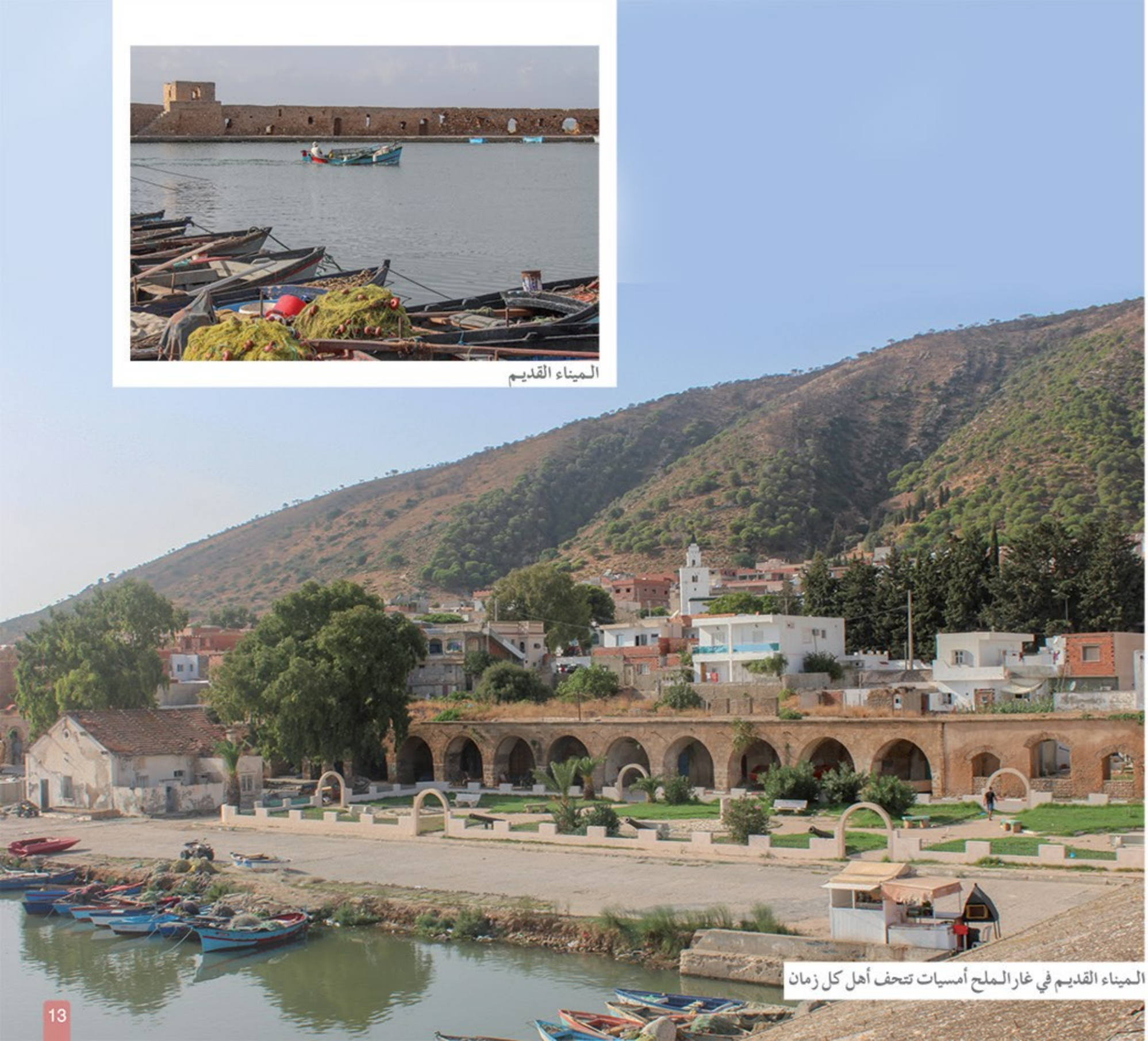

الميناء القديم في غار الملح أمسيات تتحف أهل كل زمان

معالم أخرى من غار الملح:

– السرايا والبالاص... أثرُ بعد عين :

السرايا وهي إقامة اتخذها أحمد باشا باي لمدة شهر كامل هربا من الكوليرا سنة 1850، وقد اندثر هذا البناء تماما.

– البالاص :

وهو قصر الوزير صالح شيبوب عند مدخل المدينة الغربي مبني على طراز إيطالي بديع لكنه الآن يعاني إهمالا فضيعا جعله في حالة متردية.

إضافة إلى ما سبق للمدينة آثار تاريخية أخرى، منها المساجد الثلاثة القديمة الّتي يعود أقدمها جامع الرحبة إلى القرن السابع عشر وجامع المدرسة والجامع الكبير وهو عثماني البناء.

إضافة إلى كنيسة يعود بناؤها لسنة 1853يقابلها كنيس يهودي اندثرت جل معالمه ويقطنه أحد السكان حاليا ويجاورها مسجد سيدي ناصر في مشهد تسامح فريد.

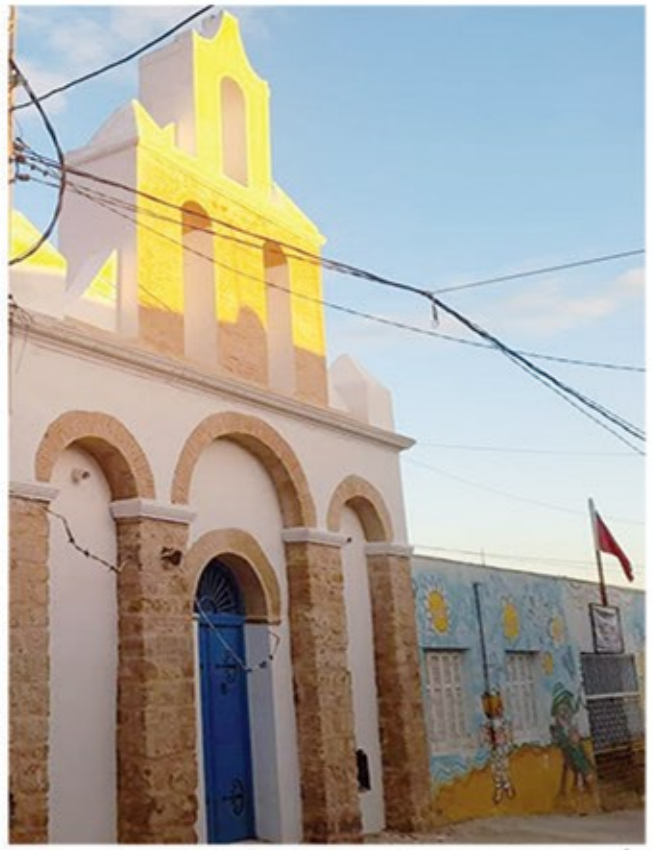

الكنيسة

مسجد سيدي ناصر

مئذنة الجامع الكبير

البالاص

الأولياء الصالحون:

تعج المدينة بعدد كبير من مقامات الأولياء الصالحين وهي مهجورة في أغلبها مثل مقام سيدي ترهوني، مقام سيدي حاج مبارك، مقام سيدي بن عيسى، مقام سيدي الحداد ولعل مقام المرابط سيدي علي المكي المطل على البحر هو أشهرها ومازال محافظا على عنفوانه لليوم.

مقام سيدي ترهوني يعاني اليوم من الإهمال

مقام سيدي علي المكي

مقام سيدي علي المكي من الداخل

التراث الاندلسي...

إرث العمارة والإنسان :

يتميز التراث الأندلسي في غار الملح عكس نظيره العثماني بعمارة المنازل ذات السقيفتين والفناء الواسع ذي الماجل وشجرة الليمون في الوسط مع اعتماد تقنية القبو بالنسبة للسقوف الّتي تتكيف مع الحر والبرد. ولعل اهم ما جاء به المورسكيّون لغار الملح هو تقنيات فريدة في زراعة البطاطا وتخزينها وجلب بعض الأصناف من الكروم.

وعموما يمكن القول إن التراث الأندلسي هنا هو تراث لا مادي أهم معالمه تقنيات الفلاحة وبعض الصناعات اليدوية المنزلية خاصة كالطريزة والشبيكة في الخياطة وعديد العادات الغذائية وكل ما يهم المطبخ.

الطريزة والشبيكة

باب أحد المنازل القديمة

الساباط

الاقتصاد...الموسمية عنوانا :

الفلاحة :

كانت غار الملح لوقت غير بعيد مدينة فلاحية بامتياز حيث كان يبلغ إنتاجها من البطاطا ربع الإنتاج الوطني منها ولكن لعدة اعتبارات تدنت هذه النسبة بشكل كبير جدا.

وبحكم صغر الأراضي الزراعية ترتكز الفلاحة اليوم إضافة إلى البطاطا على الخضروات أساسا وعموما يمكن القول إنّ الفلاحة هنا في طريقها للاندثار نظرا للمشاكل الكبيرة الّتي يعاني منها القطاع مثل تجزئة الأراضي وتقلصها الرهيب لحساب البناء ونقص مياه الري ومعاناة الفلاح من المديونية.

الصيد البحري :

يوجد بغار الملح ميناء صيد حديث مرتبط بالبحر المتوسط فيه ما يقارب 500 قارب بين الصيد بالأضواء والصيد الساحلي بطاقة تشغيلية تقارب 2000 بحار وبإنتاج سنوي محترم.

كما تتركز بالميناء ثلاث شركات إحياء مائية ذات قدرة تشغيلية محترمة.

أما الميناء الثاني فهو التقليدي (القشلة) المطل على البحيرة الّتي تستفيد منها 600 عائلة مورد رزق دائم.

وتتلخص مشاكل قطاع الصيد البحري خاصة في التلوث واستنزاف الثروة السمكية بالصيد العشوائي وغلاء أسعار الوقود والتجهيزات.

السياحة :

تسند بلدية غار الملح كل سنة حوالي 200 رخصة موسمية للانتصاب بالشاطئ (مطاعم ومقاهي) وهو ما مثل عنصرا جديـدا يدخل على المدينة حركة اقتـصادية كل صيف وبفضل مجهود ذاتي من أصحاب هذه المشاريع أصبحت غار الملح عاصمة الـسيـاحة الـداخلية على المستوى الوطني. غير أن هذا النشاط على أهميته يبقى موسميا كما أصبح الشاطئ يعاني من تلوث لافت ومهددا دوما بتقلص المساحات الرملية.

مطعم القرصان

شاطئ سيدي علي المكي

الخدمات :

تتمركز في المدينة مجموعة من المؤسسات الخدمية في مجالات عدة (معتمدية – بلدية – مدرسة إعدادية – مدرسة تكوين في الصيد البحري – مدرستان ابتدائيتان – وحدة الإرشاد الفلاحي – وحدة اجتماعية – أربع رياض أطفال – مركز رعاية الأم والطفل – مستوصف – ثلاث عيادات طبية خاصة – جمعية تنموية للقروض الصغرى – مركز بريد) غير أنها تعاني من نقص فادح في هذا المستوى فرغم أنها مركز معتمدية فهي تفتقر لفرع بنكي مثلا ولمعهد ثانوي ولمركز استعجالي وسيارة إسعاف في المستوصف الوحيد في المدينة إضافة إلى الضغط الكبير الذي يعرفه مركز البريد الوحيد أيضا.

المشهد الخدماتي في غار الملح على ثرائه يبقى ناقصا مما يمثل نقطة ضعف خصوصا في موسم الذروة السياحي حين تستقبل المدينة عشرات الآلاف من الزوار في يوم واحد..

المدرسة الابتدائية أبو القاسم الشابي

ملعب غار الملح

غار الملح العالمية :

قفزت غار الملح إلى العالمية بجدارة من خلال إعلانها مدينة رامسار للمناطق الرطبة أول مدينة تونسية وعربية تنال هذا التصنيف سنة 2018 بفضل مساحاتها المائية المتعددة الّتي تزخر بالحياة الطبيعية فالبحيرة الّتي تمتد على 10.000 هكتار المتصلة بالبحر المتوسط وتجاورها سبخة تمثل إضافة لأهميتها الاقتصادية والبيئية محطة شتوية دافئة لأنواع عديدة من الطيور ويمثل هذا الاعتراف الدولي رهانا على الدولة التونسية وعلى أهالي المدينة من أجل الحفاظ على الخصوصيات البيئية والحرص على حسن استخدامها المستدام.

ويبقى التلوث عدو البحيرة والمنطقة الرطبة الأكبر. كيف تكون منطقة تثمين دولي ومصب مياه مستعملة لأربع معتمديات؟ سؤال إلى العقل والضمير.

مشاهدة الطيور بغار الملح (جمعية احباء الطيور)

صور جمعية أحباء الطيور

Ramsar

شعار اتفاقية رامسار

القطعاية :

مفخرة غار الملح ومعجزتها :

أدرج هذا النظام الزراعي التقليدي الموروث في الأراضي الرملية بالمناطق الرطبة في غار الملح ضمن نُظم التراث الزراعي ذات الأهمية العالمية في 15 جوان 2020 من قبل منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة.

والقطعاية تسمية محلية المقصود بها قطعة أرض رملية منفصلة يحيط بها الماء المالح وتستعمل للزراعة البعلية عن طريق الري الطبيعي من خلال المد والجزر وبطواف الماء العذب فوق الماء المالح فتتلقفه النبتة وتتغذى منه. ويعتقد أن القطعاية هي منجز اليد العاملة كتعويض عن ندرة الأراضي الفلاحية في المدينة عمد إليه الأجداد القادمون من الأندلس:

تنتج القطعاية كل أنواع الخضروات والبطاطا وأنواعا كثيرة من الغلال الموسمية وبعض الأشجار المثمرة ويصنف هذا الإنتاج بيولوجيا غير أنه يُسوق في نهاية الأمر منتوجا عاديا دون إضافة أي عامل تفاضلي عن اي منتوج آخر وهو الأقل بكثير من حيث الكمية.

يشتغل بالزراعة الرملية حاليا في غارالملح حوالي 100 فلاح بإمكانيات تقليدية بسيطة غير أن هذا النوع من الزراعة الفريد من نوعه يعرف عزوفا كبيرا نظرا لعدم مردوديته المادية إضافة إلى الانسداد المستمر للقناة المائية الّتي تربط السبخة بالبحيرة الكبيرة وحاجة الأرض الدائمة لتعليتها بالرمال حيث أنها عرضة للانجراف بفعل الرياح...غير أن القوانين المعمول بها في هذا الصدد في حاجة إلى المراجعة من أجل حماية هذه المفخرة المهددة بالاندثار.

القطعاية كنز ثري يعاني فقر الإهمال واللامبالاة...كل الخوف أن يتحول إلى ذكرى...

القطعاية من الأعلى

المشهد الثقافي...

غياب الديمومة :

تحتكم غار الملح إلى خارطة أثرية ثقافية فريدة نعتقد أنها غير مستغلة كما يجب لأسباب إدارية في الغالب غير أن ذلك لم يمنع من قيام العديد من التظاهرات الناجحة بعضها وطني وصل بعضها الآخر الدولية مثل مهرجان التصوير الفوتوغرافي الّذي نجح نجاحا مدويًا في بعض الدورات التي أقيم فيها.

ويبقى الشكل المناسباتي هو سمة كل التظاهرات الثقافية هنا (المهرجان الصيفي مثالا) رغم المجهودات الكبيرة الّتي تبذل ولعل الجانب المادي يبقى الإشكال الأكبر...

توجد بغار الملح دار ثقافة حديثة يعود تأسيسها إلى سنة 2009 تضم نوادي قارة (مسرح، أدب، إعلامية، رسم ونادي للبيئة) يشرف عليها مختصون بإشراف من إدارة الدار الّتي لم تتخلف في الاحتفال بالمناسبات الوطنية كشهر التراث وغيرها وإقامة عدد من العروض الفنية بصفة دورية وعقد اتفاقيات شراكة مع جمعيات وطنية مختلفة الاختصاص.

أما المكتبة العمومية الّتي تأسست سنة 1985 والّتي احتفلت مؤخرا بمقرها الجديد العصري فهي تحتوي على رصيد محترم من الكتب كما أن بها نواد قارة للأطفال إضافة لمشاركتها الواضحة في المشهد الثقافي بالجهة.

عموما يبدو المشهد الثقافي بغار الملح واعدا رغم التعثرات ونقص الموارد والمناسباتية إلا أن الأمل في جيل جديد يرسي خارطة ومنظومة ثقافية دائمة مازال موجودا.

غار الملح طاقات بلا حدود تنتظر التثمين والتقنين والتشجيع.

جانب من التظاهرات الثقافية والنوادي بغار الملح

دار الثقافة

معرض الفنون التشكيلية

قاعة العروض بدار الثقافة

المكتبة العمومية

الصالون الوطني لنوادي الفنون التشكيلية بدور الثقافة الّذي نظمته الإدارة العامة للعمل الثقافي بوزارة الشؤون الثقافية والمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية ببنزرت في فضاء تاريخي جميل : برج باب تونس

السيّدة منيرة بن حليمة المديرة العامة للعمل الثقافي والسيّد زاهر كمون مكون في التصوير الفوتوغرافي

احدى ورشات الصالون الوطني لنوادي الفنون التشكيلية بدور الثقافة

معرض نوادي الفنون التشكيلية بدور الثقافة

برج باب تونس

المجتمع المدني بغار الملح:

يبقى المجتمع المدني في غار الملح نقطة ضعف فباستثناء الجمعية الرياضية والغرفة الفتية العالمية الّتي أسسها شباب من المدينة متحمسون للعمل المدني الجمعياتي بوصفه مكمّلا للتصور الحكومي وشريكا فاعلا له إضافة إلى جمعية ذات طابع خيري وأخرى تنموية، فإن المدينة تخلو تماما من أي نشاط جمعياتي مدني ثقافي منظم دائم يشارك بفاعلية في صنع القرار وعلاج المشاكل القائمة والمساهمة الدائمة في خلق تصورات جديدة.

ويمكن هنا الملاحظة أن جيلا جديدا من الشباب بدأ في البروز إيمانا منه بجدوى مفهوم المشاركة المدنية في الحياة العامة وهو ما يجعلنا ننظر إلى مستقبل العمل الجمعياتي بأكثر اطمئنان رغم أن عديد الجمعيات مع الأسف خفت نشاطها أو توقف تماما.

مستقبل غار الملح يجب أن يكون بخيال أبنائها... الخجل المفرط عيب في مجتمع يتعولم...

شعار الغرفة الفتية العالمية بغار الملح

غار الملح الاسطورة و رسالة الشباب :

رسالة لمن يهمه الأمر.

قرن من التعليم العصري هنا وما زلنا نعتز بأمسيات القشلة ونجفّف سمك الشاولي كل ربيع ونفخر بالشبيكة والطريزة ونحضر "صابون" كل عروس ونسمع المأذن للصلاة ولأي نداء اجتماعي آخر... مدرسة الشابي بشارع بورقيبة وقد طرد منها أول تلميذ بعنوان وطني كتب الطفل إبراهيم صدور سنة 1940 كلمة الحرية المقدسة على طاولة زمن الاستعمار.

مرقد الشهداء حذو البلدية ومازلنا نروي بطولة قتل اول جندرمي فرنسي على الأرض التونسية ذات شتاء سنة 1952... نحن

محمد البلانكو ومحمد بن نصر والبشير خصيبة مازلنا في الذاكرة.

البشير بالرايس شهيد الضمير أيضا مازال هنا.

وآلاف الحكايا التي لا يحملها كتاب.

أساطير وحكايات نظمها شعراء وكتّاب وفلاحون وبحّارة ردموا البحر وصنعوا المدرجات بالجبل وجففوا الملح وانتهوا بنا إلى هذه الأسطورة المسماة غار الملح.

غارالملح التي في الاتحاف لابن أبي الضياف.

غارالملح التي في صفوة الاعتبار لمحمد بيرم الخامس.

غارالملح التي في سهرت منه الليالي لعلي الدوعاجي

ونحن شبابها اليوم نقول ذلك أصلنا وفخرنا ولكننا نريد يومها وغدها لنا.

نريدها نظيفة نفي بعهدنا فتضمن حقوقنا.

نريدها منظمة لا فوضوية حالمة منطلقة بلا قيود أو شروط.

نحن شبابها نحب استكمال حلمها وحلمنا بمنتهى... الحرية...

روضة الشهداء

نادي الأدب والحضارة
بدار الثقافة غار الملح

المشرف على النّادي : الأستاذ أحمد بن سليمان

الشبان المشاركون في إنجاز هذا العمل:

أيمن المبروك – روضة يوسف – مصطفى معيز
– شهد عبور – مريم يوسف – نسرين الحمراوي

المكوّنان في فن التصوير الفوتوغرافي :

السيّد زاهر كمون والسيّدة كرامة القلسي

الزيارات الميدانية :

قام أعضاء النادي بعديد الزيارات الميدانية فزاروا وسط المدينة، الأبراج، القشلة، القطعاية، جبل الناظور، العيون، الأراضي الفلاحية...

نتوجه بالشكر للمؤسسات التالية :

– معتمدية غارالملح : المعتمد السيّد عبد الرؤوف كريّم
– بلدية غار الملح : الرئيس السيّد عثمان بن ثارة والكاتب العام السيّد محمد بن نصر
– الاتحاد المحلي للفلاحة والصيد البحري : الرئيسة السيّدة زهرة النفاف

مدير دار الثقافة غار الملح
السيّد بسام المبروك

– المكتبة العمومية المنصف اسطنبولي بغار الملح : أمينة المكتبة السيّدة منيرة بوبكر
– المتحف الإيكولوجي دار البحيرة غار الملح : محافظ المتحف السيّد معز حريز

نتوجه بالشكر أيضا على حسن التعاون للسادة :

– السيّد حمدة الوردي
– المهندسة صفاء بن ڤارة
– الأستاذ برهان المبروك

كما نتوجه بالشكر إلى السيّدة منيرة بن حليمة المديرة العامة للعمل الثقافي التي اقترحت اضافة دار الثقافة غار الملح كمنخرط جديد في مشروع أكتشفُ بلادي والسيدين جمال الشريف والاسعد الدربالي الّذين ساهما في تجسيم هذا المقترح على أرض الواقع.

جانب من المدينة

ختاما

هي المدينة نفسها الّتي خرج منها المشير أحمد باشا باي في رحلته الشهيرة الى باريس مع صاحب الإتحاف، حيث يكون الشتاء بنفسجيا بين الحزن والدفء ويكون طقس النفوس طروبا بين الذاتية في حميميتها وبين يد تمتد للآخر سرا وعلنا. هي المدينة الّتي في أقصى الشمال حيث حزن الشتاء يلبس المعطف الأخضر جبالا أو يكسو بالثلج شجرة الصنوبر هناك في الأعالي...

غار الملح حيث القرون لا ترحل. تفيق المدينة كل صباح بين نجماتها العثمانية الثلاث المطروزة قبالة البحر بين بيوت الأندلس الّتي استوطنت هربا من المجزرة وقد زرعت في القلب شجرة ليمون وحفرت على الزند ماجلا. تفيق المدينة وقد أخذت من المتوسط أحسن ما عند شعوبه، من إيطاليا قداسة العذراء في نهج السباط، من إسبانيا فخامة الاسم المدون في السجلات، من العرب القادمين صلاة ونوافلا وبعض الطباع...

مدينتنا يا سادة متهمة بالحضارة. وتهم الحضارة حكمها المؤبد في الحب أو النفي عشقا على خارطة الذاكرة...

غار الملح المدينة الّتي سمتها الخجل ورائحة ترابها كأنه الّذي أنبت شجرة الخلد فواحة بعرق آدم الذي ما غوى، ولا أشارت حواء المدينة لأحد بالحرام. والمدينة، المدينة صلاة وصيام وعزف حلال على الأرض المزروعة قوس قزح من فصول...

غار الملح المدينة الّتي سرّها مفضوح كالخطاف الّذي على المآذن ورائحة إسطنبول في قهوة ووقع أغنية قرصنها أحدهم ذات قرن من بحار إيطالي. تفيق وتسبح، تسبح على خصر موجة بيضاء أو زرقاء في كأس مالح يدوّن حبره على السفوح بخط مائل حكاية صبية ما عرفتها ألف ليلة وليلة ولا اكتشفها إمام طوق الحمامة...

مدينتنا يا سادة لحظة نادرة من زواج التاريخ والجغرافيا في عقد قران كاثوليكي حيث الارتباط أبدي...

إذا كان سؤال البداية غار الملح فإنّ جواب النهاية حتما لن يكون غير غار الملح...

أحمد بن سليمان
الأستاذ المشرف على نادي الأدب والحضارة بدار الثقافة غارالملح

هذا العمل من إنجاز أبناء نادي الأدب والحضارة بدار الثقافة غار الملح.. كان عملا متواضعا لا ندعي له الكمال أو الحسن إنما هو محاولة لتقديم المدينة صورة جميلة وكلمة بحثت عن المعنى... صوّرنا وكتبنا واجتهدنا... لامشكورين ولا مغرورين... إنما نحن هنا للتعلم من أجل وطن أجمل...

منظر عام لقشلة غار الملح

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

- Gafsi, Abdelhakim Slama : Ghar el Melh, AMVPPC
- Mohamed Ali Hbaieb :Bizerte et sa région,étude de géogra phie historique.
- Neji Jalloul : Ghar el Melh base navale du 17ème siècle.

- محجوب بلحاج : دراسة تاريخية غار الملح، مجلة الميناء المدرسة الابتدائية أبي القاسم الشابي غار الملح تعريب نور الدين بن خضر.
- أحمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.
- وجيدة صكوحي : سراية صالح شيبوب بضواحي غار الملح، دراسة تاريخية.